الباب السابع

منهج الدعوة إلى الله

فى القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الدعوة إلى الله تعالى.. تعريفًا وموضوعًا وفوائد

يحسن قبل الحديث عن منهج القرآن فى الدعوة إلى الله أن يكون هناك تحديد دقيق لمعنى الدعوة إلى الله تعالى، موضوعها وفوائدها على النحو التالى:

تعريف الدعوة إلى الله تعالى :

الدعوة إلى الله تعالى هى : نقل الإسلام بعمومه، وشموله، ووسطيته إلى عقول الناس جميعًا، بل إلى قلوب المستعدِّين منهم للتضحية والبذل والعطاء بكل الأساليب، والوسائل الممكنة، والتى لا تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف.

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] .

يعنى : ادعُ مَنْ بُعثتَ إليهم من الأمة إلى الإسلام الذى جاء التعبير عنه بالصراط المستقيم، وملة إبراهيم عليه السلام بالحكمة، أى الصواب الواقع من النفس أجمل موقع، والموعظة الحسنة المتمثلة فى الخطاب المقنع، والعبرة النافعة، وجادلهم بالتى هى أحسن من الرفق، واللين، وتحرِّى الحق بصرف النظر عن قائله[1] .

موضوع الدعوة إلى الله تعالى :

وموضوع الدعوة إلى الله تعالى هو القضايا التى جاء بها الوحى المنزل كتابًا، وسنة، والتى تتلخص فى :

١ ـ تعريف الناس بربهم، وبأنفسهم، وبالكون، وبعوالم الملائكة، والجنِّ، والشياطين، والأنبياء والمرسلين ورسالاتهم، وبالعاقبة والمصير، وطرق التعامل مع هذه جميعًا، ليهلك مَنْ هلك عن بيِّنَة، ويحيا مَنْ حَيَّ عن بيِّنَة.

٢ ـ تحديد علاقات الناس بعضهم بعضًا، أصدقاء وأعداء، أقارب وأباعد، حُكامًا ومحكومين على السواء، وسبيل رعاية هذه العلاقات، والحفاظ عليها، والموقف من تضييع هذه العلاقات.

---

(١) انظر: روح المعانى للألوسى ١٤/ ٢٥٤ المجلد الخامس .

٣ ـ تعريف النفوس بإيجابياتها، وسلبياتها، وسبيل تطهير وتزكية هذه النفوس، وتزويدها بزاد التقوى لتقوم بدورها فى الأرض.

فوائد الدعوة إلى الله تعالى :

وفوائد الدعوة إلى الله تعالى كما صورها الله فى كتابه هى:

١ ـ إقامة الحجة على المصرِّين والمعاندين، بحيث لا يبقى لهم عذر يعتذرون به إذا ما رجعوا إلى الله ـ تبارك وتعالى .

قال تعالى : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]

وقال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة].

٢ ـ تنبيه الغافلين، وانتشال الغارقين من الناس ـ لاسيَّما المسلمين ـ فإن الإنسان خُلِقَ يوم خُلِق فطرة بيضاء نقيَّة لديها استعداد للخير، واستعداد للشر، كما قال سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس] .

والبيئة التى ينشأ فيها الإنسان، أو التى تحيط به هى التى تساعد فى تشكيله على صورتها، إن كانت خيِّرة كان خيِّرًا، وإن كانت شريرة كان شريراً.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبىَّ ﷺ قال: «المرء على دين خليله، فَلينظُر أحدكم مَنْ يخالل» (١) .

والدعوة فيها تذكير وتبصير، وتنبيه لهؤلاء علَّهم يتوبون أو يذكرون، سيَّما وقلوب العباد بين أصبعين مِنْ أصابع الرحمن كقلب واحد يصرِّفه كيف يشاء، وما يدرينا ؟

فلعلَّه يكون مِنْ بين هؤلاء من يكون سببًا فى فتح ونصر قريبين للمسلمين، ولِمَ نمشى بعيداً، وقد كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطاب»، وهداه الله وأسلم، وكان إسلامه فتحًا، وبركةً، ويُمنًا، ونصراً للمسلمين، بل كان باب حماية لهم، لم يكسر، ولم يلج منه العدوُّ إلا بعد موته.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب مَنْ يؤمر أن يجالس ٤/ ٢٥٩ رقم ٤٨٣٣، والترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٤/ ٨٥٩ رقم ٢٣٧٨ ، وأحمد فى: المسند ٣/ ٣٠٣، ٣٠٤، واللفظ لأحمد، قال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب».

وإلى هذه الفائدة والتى قبلها لفتَ ربُّ العزَّة النَّظَر قائلا:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف].

٣ ـ استمطار العون والتأييد الربانى فى معركتنا مع أعداء الله وأعدائنا، فإننا بحولنا وقوَّتنا أمام جحافل هؤلاء الأعداء وجيوشهم، ودعايتهم ضعفاء، ولكننا بحول الله وقوَّتـه أقوياء، وقد جعل الله لإنزال عونه، وتأييده لعباده سننًا ونواميس لا تتخلف، ومنها: الطاعة والاستقامة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

والدعوة إلى الله تعالى: رأس الطاعة والاستقامة؛ لأنها تتعدَّى النفس إلى الغير، وذلك دليل كمال الإيمان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه» (١).

٤ ـ النجاة من العقاب فى الآخرة، أو فى الدنيا والآخرة جميعًا، إذ التقصير فى القيام بواجب الدعوة والبلاغ يؤدى إلى سيادة الباطل، ونشر الشرِّ والفساد الذى قد يأتى على الاخضر واليابس، ونكون نحن من ضحاياه، والقيام بهذا الواجب يكون سببًا فى النجاة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنَّ النبى ﷺ قال: «مَثَلُ القائم على حدود الله، والواقع فيها كَمَثَلِ قومٍ استهموا(٢) على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم فقالوا: لو أنَّا

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ١٠، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدليل على أنَّ من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير ١/ ٦٧ ـ ٦٨ رقم ٧١، ٧٢ واللفظ للبخارى.

(٢) الاستهام، الاقتراع، انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/ ١٩٦.

خَرَقنا فى نصيبنا خَرْقًا، ولم نؤذِ مَنْ فوقنا ؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا»(١) .

٥ ـ تكوين الرأى العام المسلم الحر الذى له دور كبير فى حراسة آداب الأمة، وفضائلها، وأخلاقها، ودستورها، وبناء شخصية لها، وسلطان هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون، وبدون هذا الرأى تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] .

٦ ـ الظفر بالأجر والثواب الذى وعد الله به القائمين بواجب الدعوة والبلاغ.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَنْ تَبِعهُ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»(٢).

* * *

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الشركة : باب هل يقرع فى القسمة، والاستهام فيه ٣/ ١٨٢، والترمذى فى السنن: كتاب الفتن: باب منه ٤/ ٤٧٠ رقم ٢١٧٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح: كتاب العلم: باب مَنْ سنَّ سنة حسنة أو سيئة ٤/ ٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤، وأبو داود فى: السنن: كتاب السنة: باب لزوم السنة ٤/ ٢٠١ رقم ٤٦٠٩ واللفظ لمسلم.

الفصل الثانى

الدعوة إلى الله تعالى ..مشروعيةً ومسؤوليةً وفضلا

ولابدَّ من اليقين بمشروعية الدعوة إلى الله تعالى، وعلى مَنْ تقع مسؤوليتها، وفضلها، ومنزلة المشتغلين فيها ليعرف كلُّ مسلم حاله، ويطمئن على صحة عمله، ويسعى جاهدًا إلى المنزلة التى مَنَّ الله ـ عز وجلَّ ـ بها على الدعاة، وذلك على النحو التالى :

مشروعية الدعوة إلى الله تعالى :

والدعوة إلى الله ـ تعالى ـ مشروعة على سبيل الفرض والإيجاب، لا يصح إهمالها، أو التوانى والتفريط فيها:

١ ـ للأوامر الواردة فى هذا الشأن مباشرة أو غير مباشرة، صريحة أو ضمنية.

فمن الأوامر الصريحة المباشرة قوله سبحانه :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

[آل عمران: ١٠٤]

وقوله ﷺ : «ليبلِّغ الشاهد الغائب، فإنَّ الشاهد عسى أن يبلغ مَنْ هو أوعى له منه» (١) .

ومن الأوامر الصريحة غير المباشرة، قوله تعالى :

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[النحل: ١٢٥]

وقوله تعالى : ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج] .

إذ هذا خطاب له ﷺ ، وخطابه ﷺ خطابٌ لأمته ما لم تقم قرينة تدل على أنَّ هذا الخطاب من خصوصياته ولا قرينة هنا.

---

(١) سبق تخريجه .

بل إنَّ قيام المسلمين بعده ﷺ من عهد أبى بكر رضي الله عنه إلى قريب جدًا بهذا الواجب لهو القرينة على أن الخطاب يتناول الأمة، ويكون ذلك من باب حفز همم الأمة، وعزائمها للقيام بهذا الواجب، وعدم التوانى، أو التفريط لحظة واحدة ؛ لأنه إذا كان نبيُّنا وإمامنا ﷺ وهو الذى لا يتأتى منه إهمال أو تقصير أو تفريط فى هذا الواجب قد أمر به، فكيف بنا نحن المسلمين الذين شأننا التقصير والتفريط؟ إن الأمر فى حقنا إذن يكون أوكد، وأوجب.

ومن الأوامر الضمنية، قوله تعالى :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[آل عمران: ١١٠]

وقوله ﷺ : «نَضَّرَ الله امرأ سَمِعَ منَّا حديثًا، فحفظه حتى يبلغه، فَرُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه» (١) .

إذ الكلام هنا، وإن كان مسوقًا بصيغة الخبر، لكنَّه يحمل فى طياته معنى الأمر، بناءً على القاعدة الأصولية المشهورة من أنَّ : «كل فعل كسبى عظَّمه الشرع، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبَّه، أو أحب فاعله... إلخ، فهو مأمورٌ به» (٢) .

كأنه ـ سبحانه ـ قال هنا : «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وآمنوا بالله تكونوا خير أمَّةٍ أُخرِجَتْ للناس».

وكأنَّ النبى ﷺ قال فى حديثه هنا : «اسمعوا حديثنا، واحفظوه، وبلغوه، تظفروا بالنضرة، والحيوية، والشباب، فربَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه».

وإنما سيق الكلام هكذا ليكون لفتةً إلى أنَّ المؤمن لكمال إيمانه، ولرقَّة إحساسه، وشعوره ليس بحاجة إلى أمر صريح مباشر، وإنما حسبه أن يعلم، ولو من طرف خفىٍّ: أن هذا العمل يرضى عنه الله ورسوله، فيبادر إلى الامتثال، والتنفيذ، ويأتى القرآن، ويأتى الحديث ليخبرا عنه بصيغة الخبر المقرون بالثناء، والمدح، فتكون هذه من خصائص المؤمنين دون غيرهم من الناس.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى السنن: كتاب العلم: باب فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٢ رقم ٣٦٦٠، والترمذى فى: السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فى الحثِّ على تبليغ السَّماع ٥/ ٣٣ ـ ٣٥ رقم ٢٦٥٦ كلاهما من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا، وقال الترمذى: «حديث زيد بن ثابت حديث حسن».

(٢) انظر: الإمام فى بيان أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام ص ٨٧ ، ٨٨، ١٠٢ .

٢ ـ ولأن رسالته ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين باقية إلى قيام الساعة:

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء] .

وقال تعالى : ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠] .

ومقتضى عالمية الرسالة إلى قيام الساعة أن تكون الدعوة إليها كذلك عامَّة إلى يوم القيامة، فإن الله رحمةٌ منه بعباده ما كان ليؤاخذهم قبل البيان والبلاغ.

قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [الإسراء] .

٣ ـ وللوعيد الشديد الوارد فى شأن من يكتمون العلم، ولا يبيِّنونه للناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾ [البقرة] .

٤ ـ ولأنَّ التمكين لمنهج الله فى الأرض لتحقيق الفلاح فى الدنيا والآخرة، وحفظ حق الحياة على الناس من حولنا واجب علينا.

والدعوة طريق لابدَّ منها لتحقيق الواجب، وما لم يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب، كما يقول الأصوليُّون.

٥ ـ ولإجماع المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على وجوب الدعوة إلى الله حتى وإن قصرت الهمم، وضعفت العزائم.

مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى :

، ما دامت الدعوةُ إلى الله تعالى واجبةً، ومفروضةً على النحو الذى تقدَّم آنفًا، فإنها مسؤولية المسلمين جميعًا، يعنى مطلوب من كل مسلم أن يقوم بها، كلٌّ حسب طاقاته وإمكاناته، ولا يعفى أحد من القيام بهذا الواجب، أو هذا الفرض، وحسبنا فى ذلك : قوله ﷺ : «مَنْ رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » (١) .

وقوله ﷺ : « ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه» (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ رقم ٧٨، ٧٩ من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث سبق تخريجه .

حيث ألزم ﷺ كل واحد فى الأمة أن يقوم بهذا الواجب حسب طاقته وإمكاناته، ولا يناقض هذا التعبير بـ: «مِن» التبعيضية فى قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إذ المراد: أنتم أيها المؤمنون مُكلَّفون جميعًا بهذا الأمر، وعليكم فى سبيل تطبيق هذا التكليف: أن تختاروا وأن تنتخبوا بعضًا، أو طائفة منكم لتقوم بهذا الواجب، بل عليكم أن تؤازروها بتوفير حاجياتها التى تعينها على أداء مهمتها، والوقوف من ورائها وحمايتها من سطوة كلِّ جبارٍ عنيد[1]، كأنَّ الكل إذًا فى دعوة، ولكن حسب الطاقات والإمكانات التى وهب الله ـ عزَّ وجلَّ.

فضل الدعوة إلى الله تعالى:

ويظهر فضل الدعوة إلى الله تعالى فى:

١ ـ أنها عمل الأنبياء والمرسلين، وهم أشرف الخلق وأكرمهم على الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص].

وكما قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

ومَنْ يعمل عملهم يكون حائزًا لشىء من هذا الشرف والكرامة، وصدق الله الذى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]

٢ ـ أنها طريق للظفر بالفوائد والثمرات التى مضت آنفًا، وفضل الشىء يكون بما يكتنفه من فوائد، وثمرات.

٣ ـ أنَّ موضوعها: الوَحْىُ المنزَّلُ: كتابًا وسُنَّة، وشرف الشىء يكون بشرف موضوعه، وهل هناك شىء أشرف وأكرم على الله من وحيه ودينه.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

* * *

(١) انظر: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٤/ ٣٥، ٣٦.

الفصل الثالث

الدعوة إلى الله فى القرآن الكريم طريقًا ومنهاجًا

وطريق ومنهاج الدعوة إلى الله تعالى فى القرآن الكريم يتمثل فى :

١ ـ الدعوة بواسطة الأسوة والقدوة :

ذلك أن النَّفس البشرية بطبيعتها تستثقل التكاليف والمهامَّ المنوطة بها، ولا يهون عليها أن تؤدى ، وأن تبذل، وأن تتحمل إلا إذا وجدتْ أسوة وقدوة لها على الطريق، والأنبياء والمرسلون وخاتمهم محمد ﷺ أعظم أسوة وقدوة بشرية على الطريق، ويأتى من وراء هؤلاء الأصحابُ والأتباعُ.

قال تعالى عن الأنبياء والمرسلين عامة :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الانعام: ٩٠] .

وقال عن محمد ﷺ خاصة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الاحزاب] .

وقال تعالى عن المؤمنين الصادقين من أصحاب وأتباع النبيين من قبل:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى عن نفر من المؤمنين أصحاب النبى ﷺ :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾﴾ [الاحزاب] .

٢ ـ الدعوة بواسطة القصة :

ذلك أنَّ النفس البشرية ـ لطول الطريق، ولكثرة العقبات والمعوِّقات ـ قد تسأم، وتمل، فتقعد أو تفتر، وخير تثبيت لها وتسلية، بل دواء : أخبار الماضين: مصدِّقين ومكذبين، وعاقبة كلٍّ، وكما قيل: «السعيد مَنْ وعظ بغيره».

وتبعًا لذلك كان القصص القرآني من أنجح وسائل الدعوة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ.

قال تعالى : ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود] .

وقال تعالى : ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف] .

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف]

هذه قصة يوسف، دعوة إلى الصبر والتحمل، وتقوى الله حتى يمكن مواجهة الشدائد، والامتحانات سواء أكانتْ هذه الشدائد والامتحانات شرًا أم خيرًا، وسواء أكانتْ تضييقًا أم سعةً، وسواء أكانتْ مهينةً وضيعةً أم رفيعة، وسواء أكانت مع الأقارب أم مع الأباعد. . . وهكذا، حتى قال الله في آخرها على لسان يوسف عليه السلام :

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف] .

وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف] .

وهذا زكريا عليه السلام بلغ من الكبر عتيًا، ولم يرزق بولد لأن امرأته كانت عاقرًا لا تلد، وما زادهما ذلك إلا مزيدًا من الطاعة والدعاء أملا ورجاء في الله أن يمنَّ عليهما بالولد، وقد كان، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء] .

وهذا يونس يبتلعه الحوت بأمر من الله عز وجل فلا يبقى له حول ولا قوة، ويهتف من أعماقه وهو في بطن الحوت قائلا:

﴿لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء] .

ويستجيب الله عز وجل دعاءه، وينجيه، مبيِّنًا أن هذه سنته سبحانه مع المؤمنين الصادقين التائبين.

قال تعالى : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

٣ ـ الدعوة بواسطة الترهيب والترغيب :

ذلك أن الإنسان ابن مصلحته، وإن تباينت هذه المصلحة بتباين العقيدة التى يعتنقها هذا الإنسان، ويدين بها:

فمثلا الذين ينكرون الله بالمرَّة ، ويجحدون الدار الآخرة، ويرون الدين أفيون الشعوب، أو يؤمنون بالله مع شركاء له، ويرون الجزاء فى الآخرة فى أيدى رجال الدين، إن رضوا بعد حصولهم على الرشاوى أدخلوهم الجنَّة، وإن غضبوا لحرمانهم من الرَشاوى عذَّبوهم فى النار، هؤلاء وأولئك يجدون مصلحتهم ولذَّتهم فى الاستحواذ على الدنيا لذا فهم يحرصون عليها، وعلى شغل كلُّ لحظة فيها بالشهوات واللَّذات قائلين لبعضهم البعض: «اقتنص لذَّتك الحاضرة قبل أن تموت».

ونحن المسلمين الذين نؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا، ونوقن بالآخرة، والحساب والجزاء بالسوء سوءًا، وبالإحسان إحسانًا، ونرى مصلحتنا دائرة بين الدنيا والآخرة بشرط أخذ الدنيا مِنْ حِلِّهـا، وصرفها فى وجهها، يأتى عملنا وفق هذه المصلحة، والله عزَّ وجلَّ يعلم ذلك؛ لذا يدعو السَّادرين فى غيِّهم، ولهوهم بواسطة الترهيب والتخويف بعقاب الدنيا أو الآخرة، أو هما معًا.

ويدعو القريبين بواسطة الترغيب والتبشير بثواب الدنيا أو الآخرة، أو هما معًا، وقد يدعو كلا من الفريقين بالأمرين جميعًا.

قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل] .

وقال تعالى : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن] .

وقال تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء] .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن] .

٤ ـ الدعوة بواسطة المثل :

ذلك أن المرء بحاجة إلى ما يكون سببًا فى جمع همته، واستثارة ذهنه، وإعمال فكره، والأمثال مِنْ أحسن ما يؤدى هذه المهمة، ويحقق هذا المطلب، فضلا عن كونها تجمع المعانى الكثيرة فى كلمات يسيرة، لذا تكررتْ فى القرآن الكريم، وكانت من أنجح طرق ووسائل الدعوة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ .

قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر] .

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت].

قال إبراهيم النَّظَّام: «يجتمع فى المثل أربعة لا تجتمع فى غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة»(١) .

وقال ابن المقفع:« إذا جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق، وآنق للسَّمْع، وأوسع لشعوب الحديث» (٢) .

ومن الأمثال الواردة فى كتاب الله قوله سبحانه :

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة].

قال عمر يومًا لأصحاب النبى ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا : الله أعلم، فغضب عمر، قال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين، قال عمر:يا ابن أخى قُل، ولا تحقر نَفْسَك، قال ابن عباس: ضُربتْ مثلا لعمل، قال عمر: أى عمل؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما: ضربتْ لرجل غنىٍّ عمل بطاعة الله تعالى، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله(٣) .

وفى رواية أخرى أنه قال :

«يا أمير المؤمنين، هذا مثل ضربه الله تعالى، فقال: أيحب أحدكم أن يكون عمره يعمل بعمل أهل الخير، وأهل السعادة، حتى إذا كبر سنه، وقرب أجله، ورق عظمه،

(١، ٢) انظر: مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب التفسير: سورة البقرة باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٤٥٣٨ (فتح البارى).

وكان أحوج ما يكون إلى أن يختم عمله بخير، عمل بعمل أهل الشقاء، فأفسد عمله فأحرقه»، قال: «فوقعتْ على قلب عمر وأعجبته»(١).

٥ ـ الدعوة إلى الله بواسطة التدرج :

ذلك أن استئصال الداء المتمكن من النفوس مرة واحدة يكون شاقًا وصعبًا، والأمر يقتضى التدرج شيئًا فشيئًا وهذا ما مضى عليه القرآن فى تحريم الخمر، وتحريم الربا، إذ لم يحرمهما دفعةً واحدةً، وإنما على أربع مراحل.

ففى الخمر كانت المرحلة الأولى فى قوله تعالى :

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل : ٦٧].

وكان المرحلة الثانية فى قوله تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] .

وكانت المرحلة الثالثة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[النساء: ٤٣]

وكانت المرحلة الرابعة والأخيرة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴿٩١﴾﴾ [المائدة] .

وفى الربا كانت المرحلة الأولى فى قوله تعالى :

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم] .

وكانت المرحلة الثانية فى قوله تعالى :

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء] .

---

(١) انظر: روح المعانى للألوسى ٣/ ٣٨ المجلد الأول، نقلا عن عبد بن حميد.

وكانت المرحلة الثالثة فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٣٠)﴾

[آل عمران]

وكانت المرحلة الرابعة والأخيرة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾ [البقرة] .

٦ ـ الدعوة إلى الله بواسطة المجادلة بالتى هى أحسن:

ذلك أن المجادلة بالتى هى أحسن تكون سببًا فى حضور الذهن، وجمع الهمَّة، ومقارعة الحجة بالحجة، وإعلان الحقِّ بغض النظر عن قائله، وقد لفتَ ربُّ العزة النظر إلى هذا اللون من الجدل بقوله سبحانه:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[النحل: ١٢٥]

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت : ٤٦] .

كما لفت النظر إلى الجدل المذموم القائم على إهدار الحجة ومجرد الانتصار للنفس لا للحق، بقوله تعالى :

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١)﴾

[آل عمران]

وقوله تعالى : ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨)﴾ [الحج] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥)﴾ [الأنعام] .

٧ ـ الدعوة إلى الله بواسطة التذكير بالنعمة :

ذلك أن القلوب جبلتْ على حبّ من أحسن إليها، وإلا كان المنعَمُ عليه جاحدًا،

وَمَنْ أجلُّ نعمةٌ على عباده وأعظمُ من الله، ولذا فإنه يذكر بها طريقًا لقبول دعوته أو لزوم الحجة، فيقول سبحانه:

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ويقول ـ عز من قائل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والقرآن كله قائم على التذكير بنعمة الخلق، والرزق، والأمن، والتسخير، ونحوها كوسيلة من وسائل الالتزام بمنهج الله، أو لزوم الحجة وحسبنا قوله ـ سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

وقوله ـ سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل].

٨ ـ الدعوة إلى الله بواسطة أسماء الله الحسنى:

ذلك أن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا طريق لمعرفته ومحبته سبحانه، والاقتداء والتأسي في حدود الطاقة البشرية؛ ولذا فإنَّه ما مِنْ آية من آيات الكتاب إلا وهي قائمة على ذكر اسم أو أكثر من أسمائه سبحانه كطريق من أنجح طرق الدعوة إلى الله سبحانه، والالتزام بمنهاجه، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

[الأعراف]

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

[الإسراء: ١١٠]

٩ ـ الدعوة إلى الله بواسطة الموعظة الحسنة :

والموعظة الحسنة هى جميع الوسائل المذكورة، وغير المذكورة من الأوامر والنواهى، والحلال والحرام، والترغيب والترهيب، والقصة، والمثل، والجدل الحسن، والنعمة، والتصريح، والتلميح، وغير ذلك من الأساليب والوسائل.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء].

قال عز من قائل بعد الكلام عن حادثة الإفك:

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور].

وحكى عن لقمان فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]

وحكى ردَّ عاد على هود عليه السلام، فقال:

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء].

وهكذا، فإن الموعظة الحسنة هى أجمع وأشمل أساليب الدعوة إلى الله تعالى فى القرآن الكريم.

* * *